

الكشاف

" ولقد صدقكم ا [وعده " وعدهم ا [النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله تعالى : " إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم " آل عمران : 125 ، ويجوز أن يكون الوعد قوله تعالى : " سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب " فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم . وقيل : لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا ا [النصر فنزلت . وذلك أن رسول ا [A جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا - كانت الدولة للمسلمين أو عليهم - فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم . يحسونهم أي يقتلونهم قتلا ذريعا . حتى إذا فشلوا . والفشل : الجبن وضعف الرأي . وتنازعوا فقال بعضهم : قد انهزم المشركون فما موقفنا ها هنا وقال بعضهم : لا نخالف أمر رسول ا [A فممن ثبت مكانه عبد ا [بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله : " ومنكم من يريد الآخرة " ونفر أعقابهم ينهبون وهم الذين أرادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد ا [بن جبير Bه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله : " ثم صرفكم عنهم ليبتليكم " ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان عندها " ولقد عفا عنكم " لما علم من ندمكم على فرط منكم من عصيان أمر رسول ا [A " وا [ذو فضل على المؤمنين " يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم ؛ لأن الابتلاء رحمة كما أن النصر رحمة . فإن قلت : أين متعلق " حتى إذا " قلت : محذوف تقديره : حتى إذا فشلتم منعكم نصره . ويجوز أن يكون المعنى : صدقكم ا [وعده إلى وقت فشلكم " إذ تصعدون " نصب بصرفكم أو بقوله : " ليبتليكم " أو بإضمار اذكر والإصعاد : الذهاب في الأرض والإبعاد فيه . يقال : صعد في الجبل وأصعد في الأرض . يقال : أصدنا من مكة إلى المدينة وقرأ الحسن Bه : تصعدون يعني في الجبل . وتعصد الأولى قراءة أبي : إذ تصعدون في الوادي . وقرأ أبو حيوة : تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم وقرأ الحسن والرسول " بالياء ويلوون . يصعدون : وقرئ . وجهها ذكرنا وقد واحدة بواو تلون : Bه يدعوكم " كان يقول : " إلي عباد ا [" إلي عباد ا [أنا رسول ا [من يكر فله الجنة " " في أخراكم " في ساقيتكم وجماعتكم الأخرى وهي المتأخرة . يقال : جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول : في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى " فأثابكم " عطف على صرفكم أي فجازاكم ا [غما " حين صرفكم عنهم وابتلاككم " ب " سبب " غم " أذقتموه رسول ا [A

بعضيانكم له أو غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله ﷺ والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر " لكيلا تحزنوا " لتتَمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز أن يكون الضمير في " فأثابكم " للرسول أي فأساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فأثابكم غما اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتمتموه لأجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ﷻ ولا على ما أصابكم من غلبة العدو . وأنزل الله ﷻ الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبيهم النوم